محمد اسماعيل ابراهيم

كتاب يجب أن يقرأه كل مسلم

الصلاة

كما وردت في الكتاب والسنة
وعلى المذاهب الأربعة

طبعة منقحة ومزيدة

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تقديم الكتاب

اخوانى قراء هذا الكتاب :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فهذا كتاب فى الفقه أنشره لتوضيح الركن الثانى من أركان الإسلام وهو الصلاة ،وذلك بعد صدور كتاب الركن الأول وهو الشهادة ، راجيا أن ينفع به المولى جلت قدرته إخوانى المسلمين فى جميع بقاع الأرض . وبخاصة هؤلاء الذين لم ينالوا قسطا وافيا من الثقافة الدينية ، ومفروض عليهم أن يتفقهوا فى دينهم ويعرفوا ماهو الضرورى من معرفته منه .

وقد آليت على نفسى بعد أن وجدت الحاجة ماسة إلى تأليف هذا الكتاب أن اعتمد فى مادته على ما جاء بالكتاب والسنة والإجماع ، وأن أستقى أحكامه من أمهات كتب الفقه ، ومن أهم المراجع المعتمدة مع الحرص كل الحرص على الأمانة فى النقل ، وقد بذلت جهدى أن يكون الكتاب عصرى المنحى فى التأليف والأسلوب ، ليكون سهل التناول ، ومتفقا مع روح زماننا فى توخى القصد فى يسر ، وتجنب

التفصيل والتطويل : لأن هدفنا منه قبل كل شيء ، أن يؤدى رسالة ثقافية دينية يحتاج إليها المسلمون فى فهم الحقائق الأساسية . المتعلقة بفريضة الصلاة . وأثرها الروحى فى حياتنا الدنيوية ؛ وما لها من عواقب فى حياتنا الأخروية .

— ومما لاشك فيه أن الصلاة صلة بين العبد وربه فهى التى توصله إلى رضائه وتقربه من رحمته ، لذلك قدمت الصلاة على سائر العبادات لأنها عماد الدين ومن أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين ، ويدل على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن أفضل الأعمال بعد الإيمان فقال : الصلاة لوقتها .

والله أسأل أن يوفقنا جميعا فى إقامة الصلاة كما يحب الله ورسوله والله سبحانه ولى التوفيق .

المؤلف

الباب الأول

حى على الصلاة حى على الفلاح

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لاإله إلا الله : وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان) . رواه البخارى .

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

مقـــدمة

إننا معاشر المسلمين بحمد الله تعالى من خير الأمم الموحدة التى أخرجت للناس ، ولنا كتاب منزل نقدسه وهو القرآن الكريم ، ولنا شريعة إلهية وضعت لنا دستوراً ينظم حياتنا الدينية والأخلاقية والعمرانية ، ويقرر واجباتنا نحو الله عز وجل ، ويحدد علاقاتنا ومعاملاتنا فيما بيننا ، ويجعلنا محاسبين ومسئولين أمامه تعالى : عما أمرنا به من تكاليف واضحة صريحة . جاءت على لسان القرآن الحكيم ، وعلى لسان نبيه ورسوله الأمين . صلوات الله وسلامه عليـه .

وقد كانت أركان الإسلام مطبقة أحسن تطبيق : وعلى أحسن صورة فى حياة السلف الصالح المعاصر للنبى صلى الله عليه وسلم ، ومن جاء بعدهم من المسلمين الذين كانوا أشد الناس حرصا عليها وتمسكا بها ، ولكن مع مرور الأيام والسنين أخذ المسلمون يتبدلون مع أحداث الزمان ، ويتغيرون مع تغير الدول والحكام ، وصار تمسكهم بشعائر دينهم على قدر مايجدون فى نفوس حكامهم من غيرة على الدين ومافى طبيعة مجتمعاتهم ، من اتجاه نحو الصلاح أو الفساد ، أومن سير نحو الرقى أو الانحطاط .

ونحن الآن فى حياتنا الحاضرة نلحظ آثار مؤسفة خلفتها لنا عهود مظلمة من مظالم الاستعمار ومفاسده ، وأورثت بعض النفوس المريضة النفاق وضعف الإيمان ، وقلة التدين . وعدم المبالاة بأداء الفروض الدينية ، ويستوى فى ذلك الكثير من المتعلمين وغير المتعلمين ، حتى أصبحت هذه الحالة ظاهرة بارزة ، لها خطرها فى كياننا الدينى كدولة تؤمن بالله تعالى ، ورسوله الكريم ودينها الرسمى الإسلام ، والله سبحانه قد حذرنا بالمثلات التى وقعت للأمم السالفة فقال فى كتابه العزيز : « ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (١).

أغلب الظن أن هذه الظاهرة يلمسها ويلحظها المسلمون ، لأنها متفشية فى أغلب شعوب أقطارهم الإسلامية ، ولا يغيب عنهم ضررها وسوء عواقبها ، وما أشك أننا نحن وإياهم لعلى خطر عظيم ، إذا لم نجب داعى الله الذى أوجب علينا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لأنه لن يصلح آخر هذا الدين إلا بما صلح به أوله .

وفى هذا الكتاب دعوة مخلصة تدعوك يا أخى المسلم بإلحاح ، وتناديك فى إصرار ، أن تكون مجاهداً ومؤازرا فى مكافحة عادة ترك الصلاة ومعالجة مرض قلة التدين ، الذى فشا وانتشر بين الناس . وهذا ما حفزنى على تأليف هذا الكتاب ، وجعلته حافلا بكل ما يقنع المتردد ، ويردع المتعنت ، ويشبع طالب العلم والمعرفة بأمور دينه .

ويشمل كتاب الصلاة ثلاثة أبواب . الباب الأول : وفيه دعوة

---

(١) الأنفال آية ٥٣

تنادي «حي على الصلاة حي الفلاح » والباب الثانى : فى الطهارة حساً ومعنى . وكيفية الطهارة ، وأحكامها ، والباب الثالث : وهو جوهر الكتاب ولبابه . وهو الصلاة بأركانها وشروطها وآدابها وأنواعها .

وإنى أعلم يقيناً أن التحدث فى موضوع قلة التدين وضعف الإيمان موضوع حساس مثير للقيل والقال . وكل مسلم مهما كانت منازعه ومشاربه سيتحسس ، ولو ظاهرا لإسلامه ، ولكن ما قيمة هذا التحسس الصورى . إذا لم نتدارك أفراد مجتمعنا بالحث على التمسك بالدين وأداء الصلوات فى أوقاتها ؟ إذ هناك فى الواقع المشاهد فى مجتمعنا أشكال وأنواع محسوبة على الإسلام منهم :

مسلمون كثيرون لا يمتون للإسلام إلا بالاسم أو بشهادة الميلاد أو النشأة بين قوم ينتمون إلى الإسلام .

ومسلمون لاحصر لهم جهلاء لايعرفون من الإسلام وأركانه وأحكامه شيئاً يذكر . ولايحاولون التعرف عليه .

ومسلمون أدعياء من ملل ونحل ضالة يعرفون من الإسلام ما ليس منه ويروجون فيه أباطيلهم وخرافاتهم .

ومسلمون عصريون أعمتهم المدنية الغربية عن حقائق دينهم وسمو مبادئه ، فهم لايشعرون من أحكام دينهم إلا أنها أغلال تكبلهم ، وموانع تحول دون انطلاقهم فى حرياتهم الآثمة .

وأمثال هؤلاء المسلمين لايجدون فى أنفسهم رغبة فى أن يستمعوا الى أى دعوة تدعوهم الى التدين ، أو تحضهم على اقامة شعائر الدين ، واذا واجههم أحد فى معرض الجد والنصح بشىء من سوء عملهم وتحذيرهم من سوء عواقبهم أصنافا متنكرة للحق فمنهم من يستنكر

النصح استنكاراً مكتوماً مكبوتاً . ومنهم من تأخذه العزة بالإثم ، ان كان واهى الإيمان سليط اللسان يقول متحديا :

ما هذا التهجم والتدخل فى حريات الناس الشخصية ؟

وما هذا التشدد والتزمت فى دين الله ؟

وما هذا التأخر والجمود فى القرن العشرين ؟

وهل هناك اجبار واكراه على إقامة الصلاة قسراً ؟

وقد يعنفك أو يؤنبك بعضهم ويقول لك : وماذا يهمك إذا أناصليت ، أولم أصل ؟ إنك مسئول عن نفسك فقط ، ولاحاجة بى إلى نصحك ووعظك ، فوجهه إلى نفسك !

وقد يقول لك قائل منهم : ما لى وللصلاة ، فان أكثر الذين نراهم يصلون ، يؤدون الفرض ، وينقبون الأرض(١).

ولانقول لك جرب حظك ، وانصح من تشاء من أصدقائك الذين لايصلون ولايستحون ، واستمع إلى ما يقولون من جدل أو حجج أوتفنيد أوتأنيب . فلا تبتئس بما يقولون ، وتذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يمنعن رجلا مهابة الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه ، ألا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر »

ويعلم الله أننا لانقصد من هذه الدعوى المخلصة لله ولرسوله سوى النصح وابتغاء الخير لهم ، ولانريد أن نعيب أفراداً ، أو نجرح شعور جماعات ، أو ننقد أشخاصا بعينهم لقلة تدينهم ، ولانريد

---

(١) أى أنهم يفسدون فى الأرض .

أن نخص أقواما أو طوائف أوهيئات بالذم أو القدح فى عقائدهم أو سلوكهم ، لأنهم يتركون الصلاة ، فهذا أبعد ما يكون عن مقاصدنا وتفكيرنا ، لأنه ليس من مبادىء الإسلام ، ولا من خلق القرآن الحكيم أعمال التشهير أو التنديد أو الطعن فى أحوال الناس وسلوكهم ، ودیننا القويم السمح رسم لنا طريق الدعوة إلى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبالمناقشة والمجادلة بالتى هى أحسن ، وبالدعاء وطلب الهداية للضالين ، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يلاقى من أهله وقومه المشركين والمعاندين أشد ألوان الإساءة والإيذاء ، ثم يقول وهو قائم بين يدى ربه : « اللهم اهد قومى فإنهم لايعلمون » ولكن بعد انتشار الإسلام لم يأمر الدين . بالسكوت على المنكرات. وكان من أظهر فضائل الإسلام وخصائص الأمة الإسلامية أنها صارت كما صورها القرآن الكريم فى قوله تعالى : «كنتم خير أمة أخرجت للناس . تأمرون بالمعروف . وتنهون عن المنكر . وتؤمنون بالله » (١) .

وليست هذه أول دعوة إلى هذا القصد الدينى النبيل . كما أنها لن تكون آخر دعوة من نوعها . بل إن الناس ما عاشوا سوف يستمعون إلى صوت الداعى إلى اتباع أوامر الشرع ، والحرص على فروض دينهم مثل حرصهم على صحتهم ومالهم ومتاعهم أو أكثر . والعمل مع العاملين على إحياء كتاب الله وسنة رسوله بالجهاد والصدق والإخلاص فى العمل .

---

(١) آل عمران آية ١١٠

وها نحن أولاء ما زلنا نسمع كل يوم فى الإذاعة والتليفزيون أصوات الدعاة من الخطباء والعلماء والأساتذة المتحدثين فى حقائق الدين ولزوم العمل بأصوله والتمسك بمبادئه . واتباع ما جاء به القرآن الكريم . ونحن مازلنا نقرأ ما يكتبه العلماء والأدباء والمثقفون فى الصحف والمجلات والكتب من بحوث دينية توجه الناس إلى ضرورة التفقه والتدين ظاهراً وباطناً ، وممارسة العادات قولا وعملا. ومن الناس من يسمع ويتعظ ، ومنهم من يرجع إلى صوابه . ويتبع نصح الناصحين . ومنهم من يسمع ويتردد ، ولايزال يتأرجح بين الحق والباطل ، ومنهم من لا يأبه ولايبالى ، وهؤلاء لن يغيروا ما بأنفسهم إلا إذا قرعتهم القوارع ، ولايؤمنون حتى يروا العذاب الأليم .

وكم نرى فى زماننا هذا حرمات من الإسلام تنتهك ، وصلوات تهمل ، ومساجد تهجر ، وشعائر تعطل ! فهل نسكت ونرضى ونستسلم ؟ كلا فاننا إن فعلنا كان ذلك من ضعف إيماننا ، وقلة تديننا نحن أيضاً ، وعدم غيرتنا على دين الله ، والله يحب الذين يغارون على دينه وحرماته ، ويعملون صفوفا متراصة فى تكتيل جبهة قوية من الناصحين والمرشدين والدعاة والغيورين تقف فى وجه المستهترين و الغافلين عن ذكر الله ، وعن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .

نصوص من القرآن والسنة

فى فرضية الصلاة على كل مسلم

وردت نصوص صريحة وجلية فى الكتاب والسنة تؤكد فرضية الصلاة على كل مسلم ومسلمة . وأنها ركن ثان من أركان الإسلام ، بعد ركن الشهادة ، وإليك بعض الآيات الواردة عنها :

قال تعالى : « واستعينوا بالصبر والصلاة . وإنها الكبيرة إلا على الخاشعين » البقرة آية — ٤٥

وقال تعالى : « حافظوا على الصلوات ، والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » البقرة آية — ٢٣٨

وقال تعالى : « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها » . طه آية — ١٣٢

وقال تعالى : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين » البقرة آية — ٤٣

وقال تعالى : « وقرن فى بيوتكن ، ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة » الأحزاب آية — ٣٣

وقال تعالى : « يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر » لقمان آية — ١٧

وقال تعالى : « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » الماعون آية — ٥

وقال تعالى : « وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفاً من الليل » هود آية — ١١٤

وهذه وغيرها آيات بينات وجهت الخطاب إلى الناس كافة رجالا ونساء أن يقيموا الصلاة ، ويثابروا ويصبروا عليها . وهذا كلام رب العالمين فلا حجة بعد ذلك لمن لايقيمها . ولاعذر مطلقاً لمن يتهاون أو يتكاسل فى أدائها . بعد أن أمرنا الله بها مراراً فى كتابه العزيز ، وجعلها أول شيء يحاسب عليه المسلم يوم القيامة . لأنها أم العبادة .

وجاءت السنة النبوية الشريفة مؤكدة ومؤيدة لكتاب الله تعالى ، وجاءت كذلك مشددة ومنددة بكل من تركوا الصلاة ، ومحذرة لهم من سوء المصير ، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :

« بين الرجل والكفر ترك الصلاة »

وقوله : « من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر جهاراً »

وقوله : « من ترك الصلاة متعمداً فقد برىء من ذمة محمد »

وقوله : « من لقى الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته » .

وقوله : « من ترك الصلاة لقى الله وهو عليه غضبان » .

وقوله : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة . فان صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله » .

تبين مجموعة هذه الأحاديث أن ترك الصلاة عمداً كفر ، وهدم للدين ، وخروج من ملة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وسبب غضب الله ومقته ، وليس أصدق من الله ورسوله حديثا . فاقرأ الآيات والأحاديث مرة أخرى ، وتدبر فى معانيها ومراميها .

وإليك مجموعة أحاديث أخرى مما ورد بشأن الصلاة وأهميتها ، لتعلم أن الرسول ماترك شاردة ولاواردة فى حض المسلمين على الصلاة ، وإظهار فضلها وعظيم نفعها لهم ، إلا وأتى بها :

قال صلى الله عليه وسلم : « مفتاح الجنة الصلاة » .

وقال : « مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم ، يستحم فيه كل يوم خمس مرات ، فما ترون ذلك يبقى من درنه ؟ قالوا : لاشيء ، قال فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن

وقال صلى الله عليه وسلم : « من صلى صلاة لوقتها ، وأسبغ وضوءها ، وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها ، عرجت وهى بيضاء مسفرة تقول : حفظك الله كما حفظتنى ؛ ومن صلى لغير وقتها ، ولم يسبغ وضوءها ، ولم يتم ركوعها ولاسجودها ولاخشوعها عرجت وهى سوداء مظلمة تقول : ضيعك الله كما ضيعتنى ، حتى إذا كانت حيث شاء الله ، لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه » .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أى الأعمال أفضل ؟ فقال : « الصلاة لمواقيتها »

وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر » .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « ما افترض الله على خلقه بعد

التوحيد فريضة أحب إليه من الصلاة ، ولو كان شيء أحب إليه منها لتعبد به ملائكته : فمنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد » .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة ، فان وجدت تامة ، قبلت منه وسائر عمله ، وإن وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله » ، وروى عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « خمس صلوات كتبهن الله على عباده فى اليوم والليلة ، فمن حافظ عليهن ، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يحافظ عليهن لم يكن له عند الله عهد ، إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له » .

ونختم هذه المجموعة من الأحاديث بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تشركوا بالله شيئا . ولو قطعتم أو أحرقتم أو صلبتم ولا تتركوا الصلاة متعمدين . فان من تركها متعمداً فقد خرج من الملة . ولا تركبوا المعصية فانها سخط الله . ولا تشربوا الخمر . فانها رأس الخطايا كلها »

أخى المسلم ! لمن كل هذه الآيات الكريمة ، وهذه الأحاديث الشريفة ؟ إنها وغيرها موجهة إلى المسلمين جميعاً ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، ولكن هناك كثيراً من المسلمين بعيدون عن الدين والتدين وإقامة الصلاة ، فما هو عذرهم؟ فهل نقول عنهم ؟ إنهم لم يقرءوا أو يسمعوا هذه الآيات أو تلك الأحاديث ؟ أولم يسمعوا شيئاً منها مما يذاع يوميا من تلاوة القرآن والأحاديث الدينية فى أغلب الأوقات ؟

أو أنهم لايدرون شيئاً مطلقاً عن كتاب الله وسنة رسوله ؟

أو أنهم لايعرفون دعوة الإسلام وشريعته وأركانه ؟

ثم لماذا لايفكر هؤلاء وأمثالهم فى أمور دينهم ، وما جاء به من الحق والهدى ؟ هل خلقوا عبثا ؟ يعيشون كما تعيش الأنعام؟

ولماذا إذا دعوا إلى الصلاة توانوا وتخلفوا ؟ وإذا دعوا إلى اللهو أسرعوا إليه مع ما فى الدعوتين من تباين فى العواقب ؟

ولماذا إذا دعوا إلى درس دينى ثقل عليهم سماعه وفهمه ؟ فى حين يخف عليهم سماع الأغانى وحفظها وترديدها .

فكيف السبيل إلى قلوب هؤلاء الناس ؟ وما الطريقة التى تحببهم فى دينهم ، أوعلى الأقل فى الاستماع إليه ، والعرف ولو على حقيقة واحدة من حقائقه العلوية الجميلة التى تسمو بالروح إلى مواطن الإيمان ، والدنو من أبواب الخير . المملوءة بالأنوار والرحمات .

أعتقد أنه لاسبيل إلى التدين إلا بالتعود والممارسة عن قصد وعزم وخوف من الله .

وهذا كتاب أرجو الله تعالى أن يفتح للناس به أبواب الهداية والخير . وأرجو أن يرشدنا ويرشدهم إلى طريق الصلاح والفلاح ، وإقامة الصلاة لأوقاتها وبشروطها ، حتى يكونوا من الناجين الفائزين .

فان كنت يا أخى من هؤلاء الذين لايصلون فتصفح هذا الكتاب ليفتح الله عليك واقرأ ما جمعته لك فيه من علم ينفعك ، ونور يهديك إلى طريق الحق والصواب ، واعلم أنه من واجب المؤمن على أخيه المؤمن أن يخلص له النصح ، وينهضه إذا زل ، ويرشده إذا

ضل ، وينشطه إذا مل ، وأختم كلامي هذا بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه « أشد الناس حسرة يوم القيامة ، رجل أمكنه طلب العلم فى الدنيا فلم يطلبه » :

بلادنا مهد الأديان ومهبط الوحى

عرفت الجزيرة العربية بأنها مهد الأديان السماوية ومهبط الوحى على الرسل والأنبياء ، كما عرفت بلادنا المصرية منذ عهود بعيدة جداً بأنها من مواطن التدين . لأن سكانها وشعوبها عنيت على مر العصور بكل ماله صلة بالدين ومناسكه ومشاعره أياً كانت حقيقته ، وكثير من الآثار القديمة والمتوسطة والحديثة نشأت وقامت على أسس وعقائد دينية ، فلما دخل الإسلام مصر وجد بها بيئة خصبة لمبادئه السامية ، وشعباً وادعاً مستعداً لقبولها والتمسك بها ، وقد ذكر القرآن مصر مراراً ووصفها بأنها جنة فى الأرض ، تجرى من تحتها الأنهار .

وكان من نعم الله على بلادنا الحبيبة مصر أن جعل نيلها العذب مبارك الروحات والغدوات ، وواديها الممرع الخصيب صافى الأجواء ، منبسط الأرجاء ، وافر الخيرات والآلاء ، وكلما قلب الإنسان طرفه فى أرضه أو فى سمائه رأى من آيات الله الكبرى فى جنباته ما يحرك وجدانه ولسانه بالحمد والتقديس للخلاق العظيم ، والمصور المبدع ، وإن الشعب المصرى الكريم الذى يدين بدين

الإسلام يمتاز برقة وجدانه وصفاء إيمانه ، وبحب الله تعالى وحب رسوله المصطفى وآل بيته الكرام ، كما أنه يمجد السلف الصالح ، ويعتز بما تركه لنا العلماء الثقات من تراث ديني ثمين ، ويحرص على صيانة ما شيده السابقون من دور للعلم والعبادة ، وعلى رأس هذه المؤسسات العتيدة الأزهر الشريف ، الذى ظل طوال القرون العشرة الماضية حصننا حصينا للإسلام ، وبقى رجاله المخلصون الأوفياء يحافظون على إحياء علوم الدين ونشرها فى طول البلاد وعرضها ، وإرسال الوفود من بعثاته إلى الأقطار الإسلامية لتعليم الناس أصول الدين صافية نقية لاتشوبها شائبة من الأهواء والمفتريات ، ولاتخالطها الشبهات والترهات ، ثم إنه فى عهوده المعاصرة يتطور لأداء رسالته على أكمل وجه من وجوه الإسلام المشرقة .

وأينما سار الإنسان فى أنحاء جمهورية مصر العربية فى ريف أو حضر تلوح له المساجد بقبابها ومآذنها ، وفى القاهرة بالذات تبدو المساجد الفخمة بمآذنها ومبانيها الكثيرة الجميلة ، التى تلفت الأنظار إلى هندستها العربية الأصيلة ، وزخارفها الشرقية البديعة ، وفى كل عام تقام مساجد رائعة المنظر ، فريدة الرواء فى طرازها ومعمارها ، مما يجعلها بحق من أنفس الآثار الإسلامية ، ولكن على كثرة هذه المساجد والزوايا وأماكن العبادة التى يدل وفرة وجودها على الروح الدينية المتغلغلة فى قلوب مؤسسيها ، وإيمانهم بأن عمارة المساجد هو من أقرب القربات إلى الله تعالى ، فإنهم قد بنوها على أمل أن يعمرها الناس بالصلاة إلا أن بعضاً منها يشكو الصد والهجران من المصلين ، ولا سيما فى غير أوقات الجمع وصلاة الأعياد .

إن هذه المساجد الفخمة الضخمة على جلال قدرها لايقصدها في الصلوات الخمس إلا النذر اليسير من المصلين . وهم إمام المسجد وخدامه ، وبعض القاطنين بجواره ، وأغلبهم من البوابين والخدم والباعة الجائلين وعابرى السبيل من العجزة والمعوزين ممن يقصدون المساجد فى الغالب لقضاء الحاجة فى مراحيضها ، أو الاستراحة فى ظلالها ، للشحاذة والاستجداء بها ، وكم كنا نحب ممن جاوروا المساجد من علية القوم أورجال المال والأعمال وأهل الفضل والعلم والأدب وذوى المكانة أن يقصدوها للصلاة فيها ؛ بدلاً من صلاتهم فى بيوتهم أومقار أعمالهم كلما أمكنهم ذلك ؛ امتثالا لأوامر الرسول فى قوله : « لاصلاة لمن جاور المسجد إلا فى المسجد »وذلك لأن بيوت الله لايكمل بهاؤها وجلالها إلا إذا عمرت بذكر الذاكرين وصلاة المصلين وعبادة المتعبدين ، فلم أيها المصلى تهجر المسجد لتصلى فى بيتك ؟ ولم لاتلوذ برحابه مستأنساً به كلما تيسر لك ذلك فهو بيت الله تعالى وأنه لامانع من أن تصلى فى بيتك فهذا شىء مطلوب ومرغوب أحيانا ، ولكن لاتهجر المسجد هجرانا ، وتنسى عمارتك له بالعبادة فيه نسيانا .

اعمـــروا بيوت الله

دعنى أسألك يا هاجر المسجد بعض الأسئلة :

هل أنت ، كائنا ماكنت ، أرفع من أن تدخل بيت اللهعابدا طائعا ؟ أوأنك أكبر من أن تقف إلى جوار أخيك المسلم الفقير فى صفوف المصلين بين يدى الله تعالى ؟